Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجـد الملامـة في هواك لذيذة حـبّاً لذكـرك فليلمني اللوّم.(11).

لا نعرف ماذا قصد ابن جني بالمناقضة، فهل هي العكس؟ لأن الأصفهاني يـردّ عليه: "أمّا معنى المتنبي فبخلاف قول أبي الشيّص، إنما يريد المتنبي: أني أحـب حبيـبي واللوام ينهون عنه فكيف نأتلف. وأبو الشيّص يريد بقوله: "أحب اللوم لا لنهي هواك بل لتكرر ذكرك في تضاعيف الكلام وأثناء الملام".(12).

وإذا كان الذي يذهب إليه ابن جني هو الخلاف أو العكس، فما معنى رد الأصفهاني عليه، وهل هذا تجنّ على ابن جنيّ؟ أو أنه كان يفهم المناقضة بغير مـاذهب إليـه ابـن جنّي؟يبدو أن أبا الفتح كان فعلاً يقصد بحكمه ذلك الخلاف والعكـس، وبهـذا لا يكـون وراء ماذكـره الأصفهاني كبير فائدة. وقد وقف الجرجاني عند هذين النصين، وعدّ ذلك من لطيف السرقة"(13).

وتبع المرزوقي أترابه في الإشارة إلى عملية العكس هذه في أماكن متفرقة مـن شـرحه لديـوان الحماسة، من ذلك ماذكره حين وقف عند قول سلمى بن ربيعة:

وكـأن فـي العينين حبّ قرنفل أو سـنبلاً كحـلت بـه فانهلّت.

فقـال:"ألفت البكاء لتباعدها، فساعدت العينان وجادتا بإسالة دمعها غزيراً متحلباً واكفاً منهملاً فكأن في عيني أحد هذين المهيجين الحالبين للعيون. وقوله كحـلت "إخـبار عن إحدى العينين وساغ ذلك لما في العلم من أن حالتيهما لا تفترقان وعلى العكس من هذا قول امرئ القيس:

وعيـن لهـا حـدرة بـدرة شـقت مآقيهـا مـن آخـر

لأنّ امـرئ القيس وحّد في الابتداء ثم ثنى عند ردّ الضمير، على أنه متى اجتمع شيئان في أمر لا يفترقان فيه اجتزئ بذكر أحدهما عن الآخر"(14).

لقـد تساءل محمد مفتاح: أيكون التناص في الشكل أم المضمون أم فيهما معاً؟ وذهب إلى "أنّ ما يظهر ــ بادئ ذي بدء ــ أنه يكون في المضمون لأننا نـرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة "عالمة" أو "شعبية" أو ينتقي منها صورة أو موقفاً درامياً أو تعبيراً ذا قوة رمزية، ولكننا لا نعلم جميعاً أنه لا مضمون خارج الشكل، بل إن الشكل هو المتحكم في المتناص والموجـه إليـه، وهو هادي المتلقي إلى تحديد النوع الأدبي ولإدراك التناص، وفهم العمل الأدبي تبعاً لذلك"(15).